من حياة اليونان الفرحاء وطرائف أحاديثهم :

حفلة الشـــاعر . . .

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

« نقلت عن الانجليزية من كتاب (الحيوات الخالدة لعظماء الفلاسفة) لمؤلفيه هنرى توماس ودانا لى توماس » .

أحيا أجاثون Agathon الشاعر الأثينى القديم حفلة ساهرة فى بيته ، دعا إليها نخبة ممتازة من خيرة أصحابه ليشاركوه سروره بمناسبة فوزه بالجائزة الأولى لروايته التى مُثِّلت فى « الملهى الإغريقى » . وكان المدعوون يتناقشون فى أحد الموضوعات التى يجدون فيها اللذة متعة وأمتع لذة — وهو الحب ، فجرب كل واحد بدوره أن يبسط رأيه فى معنى هذا الموضوع الشائق .

فاستهلّ فيدروس Phaedrus الموضوع بقوله : « الحب أقدم الآلهة ومن أشدها قوة . فهو ذلك القانون الذى يحوّل الشخص العادى إلى بطل صنديد ، لأن العاشق يستحيى ويربأ بنفسه أن يظهر أمام محبوبته بمظهر الجبان الرعديد . ولو قُدِّر لكم أن تجهزوني بجيش من العشاق ، لاستطعت أن أدوّخ العالم بأسره »

فيوافق بوزانياس Pausanias على هذا ويزيد عليه قوله : « نعم ! ولكن يجب عليك أن تميز بين الحب الأرضى والحب السماوى ، أعنى أن تميز بين جاذبية جسمين من جهة ، وائتلاف روحين من جهة أخرى . إن الحب الجسمانى المبتذل ، يتخذ أجنحة ويطير عندما تذوى زهرة الشباب . وأما الحب الروحانى الرفيع ، فهو سرمدى خالد » .

وعندئذ يفاجئنا الشاعر الهزلى أريستوفانيس Aristophanes بنظرية طريفة جديدة فى الحب ، فيقول : « فى الأيام القدامى ، كان الجنسان متحدين فى جسد واحد ، وكان هذا الجسد مستديرا كالكرة ، مجهزاً بأربع أيد وأربع أرجل ووجهين ، ينتقل من مكان إلى آخر بسرعة مدهشة ، إذ يثب وثبات متقلبة متتابعة . ومع ذلك ، كان هؤلاء الناس قوماً جبابرة ، ليس لطموحهم حد . فلقد رسموا الخطط ، ووضعوا التصاميم ، كى يتسلقوا أجواء السموات ويهاجموا الآلهة . ولكن خطرت على بال زيوس Zeus خطة غريبة رائعة إذ قال : لنقسم الواحد منهم شطرين ، فيكون للشطر نصف القوة ، وهكذا نضاعف عدد ضحاياهم ... وبالفعل شطرهم إلى ذكر وأنثى ، ومنذ ذلك الحين تولدت فى كل من هذين الجنسين رغبة عنيفة فى الاتحاد مرة ثانية . وهذه الرغبة الملحة لاتحاد الجنسين هى ما نسميه الحب » .

ولقد عرضت بعد هذا التفسير الفكاهى لنظرية الحب تعريفات أخر مشوقة ؛ ولكن طلب أخيراً من سقراط Socrates ضيف الشرف أن يدلى ببعض التعليقات على الموضوع .

فابتدأ سقراط حديثه بهذه التوطئة : « ماذا يمكننى أن أقول بعد أن خلبتنى آيات هذه البلاغة الساحرة وأسرت فؤادى ؟ لقد تحولت إلى حجر صلد ، وأصبت بالبلى والحصر . إذ كيف يتسنى لبلاهتى أن تبارى مثل هذه الحكمة الرائعة ؟ ! » وبعد أن يرمى عن كاهله هذا العبء الثقيل من « التوطئة السقراطية » التى تتميز بأدبها التهكمى ، يتقدم إلى جرح « حكمهم ببلاهته » على حد تعبيره . فيفند حججهم بعدة أسئلة متتابعة — نقول هذا غير غافلين أنه كان عميد المدرسة التى نهجت لنفسها الطريقة الاستجوابية فى التعليم .

ثم يعمد إلى اتباع هذه العملية التدميرية بعملية إنشائية من عنده . فيفضى إليهم بالحديث التالى : « الحب هو جوع الروح البشرية إلى الجمال الإلهى . فالعاشق لا يكتفى بوجود الجمال ، بل يهفو إليه ويحاول أن يخلقه ، ويعمل على تخليده بزرع بذرة الخلود فى الجسد البشرى . ولهذا السبب يحب كل من الجنسين الآخر ، من أجل التناسل وتمديد الزمان إلى الأبدية ، وكذلك يحب الآباء أبناءهم لأن أرواح الآباء المحبين لا توجد الأبناء فحسب بل توجد شركاء وزملاء وخلفاء فى البحث الدائم عن الجمال » .

وما هو هذا الجمال الذى نسعى لتخليده بواسطة الحب ؟ هو الحكمة والفضيلة والشرف والشجاعة والعدل والايمان . أو بكلمة جامعة : الجمال هو الصدق ؛ « والصدق هو الطريق الوحيد الذى يؤدى مباشرة إلى عزته تعالى » .

فتشرق وجوه الضيوف تقديرا وإعجابا ، ويعلو هتافهم استحسانا لما قاله هذا الفيلسوف الحافى ، ثم يسترسلون فيما يختص بحفلة المساء ، إذ يستهويهم السمر ، ويمعنون فى شرب الخمر . وما هى إلا دقائق ، حتى يحسر الفجر لثامه ، فيصيح الديك ،